الحديث النبوي في الفكر الاسلامي: قراءة في الآثار السياسية لعملية التدوين

*جامعة بغداد/ كلية العلوم السياسية

***م.د. نزار محمد جودة**

باحث من العــراق

ملخص :

يعد الملف السياسي ابرز الملفات التي تدور في فلكها ظاهرة صناعة الحديث النبوي المؤسس لإنقسام المجتمع الاسلامي الى تيارات مؤدلجة عقب وفاة الرسول الخاتم، والذي تمظهر بشكل جلي ومعلن ابان الفتنة الكبرى والحروب الاهلية في عهد الامام علي بن ابي طالب ،ثم بزوغ الامبراطوريات الكبرى في العصر الاسلامي .. ذلك كله أسهم بشكل فاعل في صناعة المذاهب الفقهية واستغلال السلطة لها على حساب اتجهات اخرى لغايات سلطوية او مواجهة الفئات المناهضة لمنطق العقل الاقصائي المختلف.

كلمات مفتاحية : الفكر الإسلامي- الحديث النبوي -عملية التدوين -الاثار السياسية للوضع.

Prophetic hadith in islamic thought: a reading of the political implications of the codification process

Dr. Nizar mohammed judeh

Researcher from iraq

University of baghdad/college of political science

ABSTRACT

The political file is the most prominent file that revolves around the phenomenon of the prophet's hadith industry, the founder of the division of the islamic society into ideological currents after the death of the final messenger, which appeared clearly and publicly during

the great strife and civil wars during the era of imam ali bin abi talib, and then the emergence of the great empires in the islamic era. All of this effectively contributed to the manufacture of jurisprudential schools and the exploitation of power for them at the expense of other directions for authoritarian ends or to confront the groups opposed to the logic of the different exclusionary minds.
KEY WORDS: islamic thought - prophetic hadith - codification process - political effects of the situation.

مقدمة:

لا خلاف في أهمية الموروث الروائي في المدرستين (مدرسة النص – مدرسة الشورى) معاً، بل لا يمكن انْ يتصور أداء الدين الاسلامي لبعده الوظيفي منفصلاً عن الموروث الروائي المسمى (السنة)، كونها شريكة القرانْ في النص التأسيسي والتبيين، وبقطع النظر عن مساحات ألسنة من حيث التوسعة والتضييق في بعدها التشريعي بين المدرستين ألا انَّها أدت دوراً ملحوظاً في تأسيس المذاهب الاسلامية.

وفي ضوء ذلك سنتناول أهميتها وأثرها في التأسيس لنشوء الأبعاد السياسية للتمذهب الديني وفق ما يسمى بعصر التدوين الرسمي على وفق المحاور التالية:

الأول: ملامح ما قبل عصر التدوين.

الثانْي: الأسباب السياسية لحظر التدوين.

الثالث: ملاحظات حول عصر التدوين وبدايات التشخيص السياسي (البخاري وموقفه من الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)).

الإشكالية: ماهو دور السلطة السياسية في صناعة النص المؤدلج لهيمنة النزعة الاصولية، في تحويل المقولات الى نص متعالي لايقبل التمايز والاختلاف عن القراءة الرسمية للحديث النبوي.

الفرضية يلعب البعد الايديلوجي في صناعة النص النبوي دورا في تغييب العقل من خلال سلطةالنص السياسي.

المحور الأول: ملامح ماقبل عصر التدوين.

سنقف عند أهم ملامح عصر تدوين الحديث ليتضح لنا خلفيات التفرق والتشرذم المفضي الى التموضع المذهبي والعقائدي المرتكز على أصول وجذور تأريخية كانت ومازالت تمثل الواقع الانْ وموجهات العقل ألاسلامي في بعده السياسي والاجتماعي الذي سنتناولها على وفق ملامح أولية كمدخل لفهم عمليات تأسيس المنظومة المعرفية للموروث الروائي وتجاذباته السياسية والعقدية والتأريخية والتي هي:

<u>الملمح الأول: وضع الحديث واختلاقه</u>

انْ وضع الحديث واختلاقه والكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

في مختلف الدوائر المعرفية، هو يعد من أهم ملامح تلك المرحلة وبالخصوص في العهد الأموي فقد كان هذا الملمح يمثل استراتيجية عامة للسلطة الأموية، بمعنى انْ ظاهرة الدس والتزوير تمثل العمودالفقري للمنظومة الاعلامية والثقافية والدينية للسلطة السياسية .

انْ ظاهرة الدس والتزوير تمثل العمودالفقري للمنظومة الاعلامية والثقافية والدينية للسلطة السياسية

ونظراً لخطورة الموقف وتبعات هذه العملية على صناعة العقل الاسلامي سنقف أمام شواهد عدة تؤيد هذه الحقيقة لكتاب معاصرين من مدرسة الصحابة.

يقول الكاتب المصري أحمد أمين موضحاً تلك الظاهرة (... انْ الأمويين قد وضعوا ووضعت لهم أحاديث تخدم سياساتهم من نواحي متعددة؛ منها: أحاديث في زيادة مناقب عثمانْ اذ كان هو الخليفة الأموي من بين الخلفاء الرأشدين، وهم به أكثر اتصالاً من غيره، مثل حديث: انْ عثمانْ تصدق بثلاثمائة بعير بأحلاسها واقتابها في جيش العسرة ، فنزل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن المنبر وهو يقول :(ما على عثمانْ ما عمل بعد هذا اليوم)([1]).

(1) أحمد أمين المصري،ضحى الاسلام ،ج (2)، ط (10)،بيروت- دار الكتاب العربي ، (د.ت)، ص123.

وهذا هو بداية التأسيس لنظرية الحق الإلهي واعطاء المشروعية والحصانْة الدينية من أي مسائلة أو محاسبة للخليفة وله الحق في فعل أي شيء سواء أضرَّ بالصالح العام أم بممتلكات وأمن الناس فلا ضير لانْ النبي خاتم الانبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) قال في حقه: (ما على عثمانْ ما عمل بعد هذه) ومن جملة موضوعات الحكم الأموي هو عقيدة الجبر (كي يدخلوا الرعب في قلوب العامة والسواد الأعظم الذين لاعرفانْ لهم ؛ في حقيقة الأمر خوفاً من الوقوع في شبهة الشرك)([2]).

بداية التأسيس لنظرية الحق الإلهي واعطاء المشروعية والحصانْة الدينية من أي مسائلة أو محاسبة للخليفة

وفي التوحيد وضعوا نظرية التجسيم والقول بانْ الجسمانْية هو من حقائق التوحيد ويكفر كل من يقول بخلاف ذلك ونشأ ذلك نتيجة رفض التأويل لصالح العقل وتفسير النصوص بشكل حرفي([3]).

(2) علي الرضوي، وآخرون، سد المفر على القائل بالقدر:دراسة تحليلة حول بحث الارادة والطلب ونقد مقالة الجبر والتفويض(محأضرَات محمد باقر علم الهدى)،ط(1)، أيرأن – مركز فرهنكي ،1378هـ ، ص134.

(3) للمزيد حول الجانب التطبيقي لنظرية التأويل عند الاتجاه السلفي ينظر : كريم السراجي ،الاسس الدينية للاتجاهات السلفية ، ط(1)، بيروت – دار السلام ، 2010م،ص ص135-138.

وفي السياق نفسه يقول الدكتور الخطيب:(وبعد استشهاد علي قام بعض شيعته يطالبون بحقهم بالخلافة، وهكذا نشأت الاحزاب والفرق التي اتخذت شكلاً دينياً ابلغ الأثر في قيام المذاهب الدينية في الاسلام، وقد حاول كل حزب انْ يدعم ما يدّعي بالقرانْ والسنة، ومن البديهي انْ لا يجد كل حزب مايؤيد دعواه في نصوص القرانْ الكريم)([4]).

(4)محمد عجاج الخطيب، السنة قبل التدوين، ط(3)، بيروت – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،1980م، ص 188.

وفي ضوء ذلك نتجت عملية الوضع للأحاديث كمنتج طبيعي لأفراز عملية شرعية السلوك السياسي للأحزاب المتصارعة حول السلطة ضمن أطر دينية لغرض استقطاب القواعد الاجتماعية بشكل أكثر سعة وشمولية في مديات التأثير.

ومما تجدر الإشارة له ينبغي التذكير بالكلمة التأريخية الواردة عن سلمانْ الفارسي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال :(انَّ سلمانْ منا أهل البيت؛ انَّه كان يقول للناس: هربتم من القرانْ الى الأحاديث، وجدتم كتاباً رقيقاً حوسبتم فيه على

النقيروالقطمير والفتيل وحبة خردل، فضاق ذلك عليكم ،وهربتم الى الأحاديث التي اتسعت عليكم)([5]).

انْ في هذا الحديث دلالة واضحة على تأسيس محورية اسلام الحديث وحاكميته على محورية اسلام القرانْ، وهكذا تمت صناعة قداسة الصحابة في ضوء عملية ممنهجة من الحكم الأموي ولكن ذلك لايعني براءة الطرف الآخر من القداسات التي لا أصل لها لأصحاب الائمة.

ينبغي انْ يعلم انْ مسألة المحاكمة لمفهوم الاصحاب في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) أو نقد القداسة لمفهوم الصحبة في مدرسة أهل السنة والجماعة لانْريد منه الاساءة بقدر ماهو الايضاح المنهجي لانْ المسألة نسبية ولكننا نحاول وضع اليد على الاختلال في التعميم لدى المدرستين أذ تطالعنا الشواهد التأريخية بانْ عمليات الدس والتزوير وصناعة الادلة المعرفية تمت عملية توظيفها على يد ثلة من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذين كانوا يمارسون السرقة وشرب الخمر ويكفر بعضهم البعض الآخر إذ يقول الشيخ (محمد بن صالح العثيمين) : (ولاشك انَّه حصل من بعضهم – يعني الصحابة – سرقة وشرب خمر وقذف وزنا ، بإحصانْ وبغير إحصانْ)([6]).

اذن في النص دلالة واضحة على انْ كثيرا من الصحابة لم يكونوا مؤمنين بالاسلام ومنظومته العقدية.

ومما ينبغي التذكير به انْ هناك من اصحاب الأئمة انْكروا إمامة الإمام علي بن موسى الرضا وصاروا من الواقفة وكانت الغاية هي الطمع بأموال الإمام الكاظم (عليه السلام) والبالغة ثلاثين الف دينار ومن الغرائب انْ (البطائني) إدعى انْ الإمام الكاظم (عليه السلام) لم يمت وسيعود وكان الهدف من ذلك السيطرة على الأموال وعدم تسليمها للإمام الرضا (عليه السلام) بدافع الطمع([7]).

بدأت عملية الوضع في فضائل الصحابة ونشطت مع الزمن حتى اختلط الحديث الصحيح بالموضوع وظهرت أحاديث في فضائل الخلفاء

ومن الغريب انْ (زياد بن مروانْ) كان من أهل الورع والفقه والقائلين بإمامة علي بن موسى الرضا ومن خواص الإمام الكاظم كما أورد ذلك في كتاب الارشاد للمفيد ([8]).

هكذا بدأت عملية الوضع في فضائل الصحابة ونشطت مع الزمن حتى اختلط الحديث الصحيح بالموضوع وظهرت أحاديث في فضائل الخلفاء وغيرهم من زعماء الاحزاب تؤسس بصورة صريحة لدعم المذاهب السياسية والفرق الدينية في ضوء معطيات الاخبار الموضوعة في انْتقاص الفرق من بعضها البعض تتولد من خلالها حالة الدفاع المذهبي واقصاء الخصوم على وفق الأحاديث الموضوعة([9]).

لقد واجه المحدثون إشكالية في معالجة الكم الهائل من الوضع والدس للوصول الى الأخبار الصحيحة .

وفي ضوء ذلك يروي (حنبل بن إسحاق) قائلاً:(جمعنا أحمد بن حنبل ، انْا وصالح وعبد الله، وقرأ علينا المسند ، وما سمعه منه غيرنا، وقال لنا: هذا الكتاب

(5)محمد بن الحسن الطوسي ، اختيار معرفة الرجال ،ج(1)، تصحيح وتعليق: الميرداماد الاسترابادي ومحمد باقر الحسيني ، تحقيق: مهدي الرجائي ،ط (1)، قم – مؤسسة آل البيت ،1404هـ، ص71.

(6)محمد بن صالح العثيمين، شرح العقيدة الواسطية ،اعداد: فهد بن ناصر بن ابراهيم السليماني ، ط (2)،المملكة العربية السعوديه – دار الثرية للنشر ، 1426هـ،ص623.

(7)محمد بن الحسن الطوسي ، الغيبة ،تحقيق: عباد الله الطهراني ،علي أحمد ناصح ،ط(1)،قـم – مؤسسة المعارف الاسلامية ،1411هـ، ص64.

(8)محـمـد بـن محمد النعمان البغدادي ،الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، مصدر سبق ذكره ،ج(2)، ص247.

(9)محمد عجاج الخطيب ،السنة قبل التدوين ،مصدر سبق ذكره ،ص189وما بعدها.

قد جمعته وانْتقيته من أكثر من سبعمائة الف وخمسين الفاً ، فما اختلف المسلمون فيه من حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) فأرجعوا اليه فانْ وجدتموه وإلا فليس بحجة)([10]).

وفي السياق نفسه يوعز المحقق (محمود ابو رية) (انْ سبب الوضع في الحديث يعود الى تأخير تدوينه وربط ألفاظه بالكتابة.

انْ سبب الوضع في الحديث يعود الى تأخير تدوينه وربط ألفاظه بالكتابة

- الى ما بعد المئة الاولى من الهجرة وصدر كبير من المئة الثانْية

- انْ اتسعت ابواب الرواية، وفاضت انَّهار الوضع بغير ضابط ولا قيد ،حتى بلغ ما روي من الأحاديث الموضوعة عشرات الألوف، لايزال اكثرها بين تضاعيف الكتب المنتشرة بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها([11]).

وبطبيعة الحال فلا يمكن القول بصحة كتاب البخاري في مدرسة الصحابة وانَّه لا مشكلة فيه وينطبق المنطق ذاته في مدرسة أهل البيت إذ لاوجود لصحة مطلقة للكتب الحديثة المعتبرة عند الشيعة، أي لبيت مستثناة من الوضع والدس والغلو([12]).

الملمح الثانْي: سياسة الترغيب والترهيب (المال والإعلام والسلطة) .

انْ سياسة الترغيب بالمال والمنصب، والترهيب بالمصادرة والقتل تعد من الملامح البارزة في عصر ماقبل التدوين، وقد كان (معاوية بن ابي سيفانْ) رائد هذه السياسة ورئيسها، اذ يؤكد (ابن ابي الحديد المعتزلي) بروايته عن استاذه ابي جعفر الاسكافي قوله :(انْ معاوية وضع قوم من التابعين على رواية اخبار قبيحة في علي (عليه السلام)، تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم جعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا ما ارضاه، منهم ابو هريرة وعمر بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير)([13]).

انْ سياسة الترغيب بالمال والمنصب، والترهيب بالمصادرة والقتل تعد من الملامح البارزة في عصر ماقبل التدوين

وهذه الأسماء وغيرها من قبيل اليهودي كعب الاحبار، والنصرانْي وهب بن منبه([14])، ممن بالغوا في عدائهم ونصبهم لأمير المؤمنين (عليه السلام).

اعتمدت السلطة الأموية على سياسية الإغراء بالمال ولغة التهديد للقوى المعارضة واذا لم تتمكن من استمالة تلك القوى فتلجأ الى أسلوب الاغتيال السياسي حتى عرف عنهم ذلك الشعار القائل :(لله جنود من عسل) وهو شعار اطلقه مؤسس الدولة الأموية (معاوية بن أبي سفيان) عندما اغتال(مالك الاشتر) بالسم المداف بالعسل([15]).

النظرية َالأموية قائمة على معادلة ثلاثية الأبعاد قوامها المال، والسلطة سواء كانت السلطة دينية أم سياسية والاعلام، وهذه المعادلة هي منظومة لأفراز القادة

(10) نـقـلاً عـن محمد ناصر الدين الالباني ، الـذب الأحمد عن مسند الإمـام احمد، ط (1)، المملكة العربية السعودية ،دار الصديق،1420هـ،ص(12).

(11)محمود ابو ريـه، اضـواء على السنة المحمدية (اوالـدفـاع عن الحديث)،ط (2)،قم – دار الكتاب الاسلامي، 2007م،ص118.

(12) هـاشـم مـعـروف الحسني ،الموضوعات في الآثار والاخبار، تحقيق: أسامة الساعدي ، ط(1)، قم،(د.ن)،2009م،ص291.

(13)ابن ابي الحديد المعتزلي ،شرح نهج البلاغة ،ج4،ط (2)، بيروت-دار احياء الكتب العربية ،1965م،ص63.

(14)مـن لطائف ماذكر في كعب الاحبار ووهب بن منبه حسبما اكده المحقق محمود ابو رية في كتاب ،شيخ المضيرة اذ قال : (كان الاستاذ سعيد الافغاني قد نشر مقال في مجلة الرسالة المصرية قال فيه :أن وهب بن منبه هو الصهيوني الاول ،فصححت هذا الراي بمقال نشر في العدد :(656)من هذه المجلة اثبت فيه بالادلة القاطعة أن كعب الاحبار هو الصهيوني الاول ؛ وما كاد هذا المقال أن ينشر حتى هب في وجهنا شيوخ الازهـر وامطرونا وابـلاً من طعنهم المعروف وقالو:كيف تصف(سيدنا كعب)، بانه الصهيوني الاول وهو من كبار التابعين وخيار المسلمين ؛ ومما يؤسف له أنهم لايزالون يذكرون اسمه بالسيادة الى اليوم). ينظر، محمود ابو رية، شيخ المضيرة ابو هريرة ،ط (3)،القاهرة – دار المعارف للمطبوعات، (د.ت)، ص93. واما وهب بن منبه فهو كما وصفه طه حسين بقوله:(ورجل رابع كان يقيم

والساسة على المستوى الديني والسياسي تنتهجها الانْظمة الشموليةعلى امتداد حركة التأريخ .

انْ نفوذ هذا الثالوث الحاكم للعقل الاسلامي يعتمد على سياسة القوى الناعمة في صناعة الأتباع من خلال سلطة المال وإضفاء القداسة للماسكين بالسلطة بمفهومها الواسع لتغيّب حركة الأمة والقوى المعارضة تارةً واستخدام الآثار الشرعية من خلال تفعيل مبدأ الارهاب الديني بأسم الجنه أو النار ، الكفر والإيمان ..... وغير ذلك.

الملمح الثالث: أبدال البنى التحتية للاسلام بالبنى الجاهلية .

اعتمدت السلطة الأموية على سياسية الإغراء بالمال ولغة التهديد للقوى المعارضة واذا لم تتمكن من استمالة تلك القوى فتلجأ الى أسلوب الاغتيال السياسي

وهذا الأمر خطير – الذي ما التفتت لّه الإ القلة من المحققين، منهم المحقق (محمود ابو رية) كما سيأتي – قد لعب دوراً عظيماً في انْحسار الاسلام المحمدي ، واعلاء كعب الاسلام الأموي وابدال اسلام القرانْ بإسلام حديث ، فلو راجعنا سيرة معاوية خصوصاً وبني أمية عموماً، نجدهم ما ادخروا جهداً كبيراً في إبدال قيم الاسلام بالجاهلية الجهلاء ، فبدل من الولاء للاسلام ،استحدثوا الولاء للحكام ، فما تركوا قيمة للاسلام الأ وسارعوا في دفنها ، حتى صار شعارهم الخفي(لا والله الإ دفناً دفناً) يمثل إستراتيجة سياساتهم العدائية العاملةعلى القضاء على الاسلام والمسلمين، وجعلهم لايفرقون بين الناقة والجمل[16].

فيما جاء في اخبار معاوية، عن الزبير بن بكار في الموفقيات – وهو غير متهم في معاوية، ولأمنسوب في ولائه لعلي ، لما هو معلوم من حاله من مجانْبة للإمام علي (عليه السلام)، والانْحراف عنه- انَّه قال:(قال المطرف بن الغيرة بن شعبة ، دخلت مع أبي على معاوية، فكان أبي يأتيه، فيتحدث معه ، ثم ينصرف إليّ فيذكر معاوية وعقله ، ويعجب بما يرى منه ،اذا جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيته مغتماً فانْتظرته ساعة ، فظننت انَّه لامرحدث فينا، فقلت :مالي أراك مغتماً منذ الليلة ؟ فقال: ابني، جئت من عند اكفر الناسِ وأخبثهم، قلت:وماذاك ؟ قال :قلت له وقد خلوت به:انْك قد بلغت سناً يا أمير المؤمنين ، فلو اظهرت عدلاً،وبسطت خيراً، فانْك قد كبرت ، ولو نظرت الى اخوتك من بني هاشم ، فوصلت ارحامهم فوالله ماعندهم اليوم شيءٍ تخافه ، وانْ ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه فقال : هيهات هيهات ! أي ذكرٍ أرجو بقاءه ! ملك فعدل وفعل ما فعل، فيما عدا انْ هلك حتى هلك ذكره، إلا انَّ يقول قائلٌ: (ابو بكر، ثم ملك أخو عديٍّ، فأجتهدعشر سنين ، فيما عدا هلك حتى هلك ذكره، إلا انْ يقول قائل :عمر وانْ ابن أبي كبشة – يقصد رسول الله صلى الله عليه وآله- ليصاح به كل يوم خمس مرات:(أشهد انْ محمداً رسول الله) فأي عمل يبقى، وأي ذكرٍ يروم بعد هذا لا أبا لك!لاَ والله إلا دفناً دفناً)[17].

وفي ضوء تلك المعطيات التأريخية التي يقدمها لنا النص تتأكد لنا سياسات

بالمدينة ولكنه كان غريب الاطوار ، عرف كيف يخدع كثيراً من المسلمين ومنهم عمر)،طه حسين ، الخلفاء الـرأشـدون ،ج(4)، بيروت – دار الكتاب اللبناني، 1973م، ص189.

(15)احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح،الكاتب العباسي المعروف للسير والمغازي باليعقوبي ،تاريخ اليعقوبي ،ج(2)، ط(بلا)، بيروت – دار صادر،(د.ت)، ص139.

(16)روى المسعودي:)(أن رجل من أهل الكوفة دخل على بعير له الى دمشق في حال منصرفهم عن صفين فتعلق به رجل من دمشق،فقال :هذه ناقتي أُخذت منّي بصفّين ، فارتفع أمرهما الى معاوية ، واقام الدمشقي خمسين رجلاً بيّنةًيشهدون أنها ناقته ، فقضى معاوية الى الكوفيّ وامره بتسليم البعير إليه ، فقال الكوفي :أصلحك الله ، انه جمل وليس بناقة ! فقال معاوية :هذا حكم قد مضى ،ودس الى الكوفي تفرقهم ، فأحضره وسأله عن ثمن البعير ،فدفع اليه ضعفه ،وبرّه وأحسن اليه ،وقال له : أبلغ علياً أنّي اقابله بمائة الف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجملً... وقد بلغ من أمرهم في طاعتهم له : أنه صلى بهم عند سيرهم الى صفين الجمعة يوم الأربعاء)). علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق :امير مهنا،ط (1)، بيروت – منشورات مؤسسة النور للمطبوعات ،ج(2)، 1421هـ، ص72.

(17)الزبير بن بكار بن عبد الله الـزبـيـري، الاخبارالموفقيات، تـحـقـيـق:سـامـي مـكـي العاني،بغداد،(د.ن)،1972م،ص577. -المسعودي،مروج الذهب ومعادن الجوهر،ج(3)،مصدر سبق ذكره ،ص454.

الاسلام الأموي بإعتمادهم على منهجية اختلاق منظومة معرفية تعرف بمنظومة الضد النوعي، القائمة على استراتيجية تدمير الاسلام من الداخل بوسائل فكرية وعقائدية تعرف بالمعنى المعاصر اليوم في ادبيات الفكر السياسي بالغزو الثقافي والتي تعتمد في فاعلية قوتها التدميرية على الانْدماج داخل الأوساط الاجتماعية والمعرفية والدينية، واتباع سياسة المراحل في تحقيق أهدافها بشكل غير معلن وهذا ما اشار اليه (عبد الله العلايلي) في وصف وتحليل كيفية توغل بني أُمية للوصول للحكم ، فيقول :(دار الحزب الأموي كاد للنبي (صلى الله عليه وسلم) ولدعوته،وعرفنا كيف أسلم زعيم الأموية ابوسفيان، وعرفنا كيف لم يبق للامويين أي مقام إعتباري في محيط الاسلام الذي كان ظهوره فوزاَ وغلبةً للهاشميين ، فعملوا في ظل الدين على التمهيد لانْفسهم والأستئثار بالسلطة ، وقد وجدوا في ولاية معاوية أبي سفيان وولاية يزيد بعده على الشام ،خطوة أولى ليستطيعوا انْ يثبتوا اقدامهم من بعدها))([18]).

تعتمد في فاعلية قوتها التدميرية على الانْدماج داخل الأوساط الاجتماعية والمعرفية والدينية، واتباع سياسة المراحل في تحقيق أهدافها

وهنا ينبغي الأشارة الى تحليل المحقق (محمود ابو رية) اذ يقول: تحت عنوانْ الإسرائيليات في الحديث: ((لما قويت شوكة الدعوة المحمدية واشتد ساعدها وتحطمت أمامها كل قوة تنازعها لم يرَ من كانوا يقفون أمامها ويصدون عن سبيلها الإ انْ يكيدوا لها من داخلها))([19]).

وتأسيساً لما تقدم نجد انْ السلطة السياسة بطبيعتها تعتمد على مبدأ الغاية تبرر الوسيلة ، كما هو معلوم في ادبيات علم السياسة، ولكن من أشد المخاوف في عالمنا اليوم هو انْ تتم عملية تفريغ المنظومة الاسلامية بعنوانَّها الكلي من محتواها العقائدي وتفاقم حالة الارهاب الفكري بادوات دينية وقراءةً ناقصة غير مدركة لأبعاد الفعل السياسي في ضوء التوظيف للقيم الدينية ضمن أطار سياسات التعبئة العامة وتنشيط فاعلية الخطاب المتطرف تحت غطاء مشروعية أتجاه دون آخر ضمن فواعل ثقافة الموروث الديني المنتج لحواضن التطرف على مستوى القراءة المذهبية .

نجد انْ السلطة السياسة بطبيعتها تعتمد على مبدأ الغاية تبرر الوسيلة ، كما هو معلوم في ادبيات علم السياسة

الملمح الرابع: تأثير البلدانْ المفتوحة على الأخبار المروية

لاريب انْ البلدانْ المفتوحة قد تأثرت بالاسلام تاثيراً عظيماً، ولكنها قد أثرت في الاسلام في مقدار عمقه التأريخي والحضاري ، فلم تكن منفعلة بشكل دائم بالاسلام ، وانْما كانت فاعلةً ايضاً، ولذلك نجد الاسلام له صور متقاربة وليست منطبقة في البلدانْ المفتوحة، فالاسلام المشرقيّ شبيهٌ بالاسلام المغربي ولكن ليس مطابق له، كما انْ الاسلام الآسيوي شبيه بالاسلام الأفريقي ولكنه ليس مطابقاً له،وليست هنالك أسباب ظاهرة غير الهويات الحضارية المختلفة ،فالحضارة الفارسية لها مقوماتٌ تختلف عن مقومات الحضارة الهندية ، وهما مختلفتانْ عن الحضارة الصينية، وجميعها مختلفة عن حضارة وادي الرافدين وحضارة وادي

(18)عبد الله العلايلي، الإمام الحسين، بيروت- دار مكتبة التربية،الطبعة الجديدة ،1986م،ص31.

(19)محمود ابو رية ،اضواء على السنة المحمدية، مصدر سبق ذكره، ص145.

النيل ،وعليه فيما ناهده من وجوه الاختلاف بين الاسلام الهندي والاسلام الأفريقي منشؤه الاختلاف الحضاري.

الإثر الحضاري لم يتمكن من التأثير على النص القرانْي لكونه مصوناً من التحريف، بخلاف الروايات، التي تأثرت كثيراً بطبيعة الحضارة واهتماماتها، (فالحضارة التي تهتم بالمعنويات والغيبيات تلاحظ انْبثاق روايات كثيرة منها على ألسن رجال من بيئتها، والحضارة المهتمه بالفلسفة والحكمة تجد ابناءها مؤثرين في الروايات ضمن ميولهم، وبقدرأختلاف المدارس الفلسفية تختلف الرؤية حول الاسلام، وهكذا تولّد عندنا اسلام له ملامح مشائية، واسلام له ملامح اشاراقية، واسلام له ملامح عرفانْية)[20].

فالحضارة التي تهتم بالمعنويات والغيبيات تلاحظ انْبثاق روايات كثيرة منها على ألسن رجال من بيئتها

فانْ ذلك يعني انْ التأثير الحضاري له فاعلية بمكان في تأسيس الظواهر الدينية ولكن ذلك لايعني فقدانْ محركات ومقومات قوة المنظومة الدينية في توجيه السلوك الانْساني، وذلك لعاملين أساسين هما [21]:

الأول: قوة الاديانْ ورسوخها في العقل الباطني لأبنائها

الثانْي: انْ الاسلام الواصل الى الحضارات الاخرى لم يكن واصل اليهم أكثر من اسلام الفتوحات، أو اسلام الحديث مما جعل التسريبات الوثنية المتوارثة ممكنة وهذا ما يتضح من خلال بعض الطقوس والممارسات الدينية الموضوعة والتي تكون ناشئة من تأثير الرواسب الحضارية .للحضارات الوافدة على المنظومة الاسلامية، خصوصاً في ممارسة المشي على النار والاحتفال بأعياد غير الاسلام ، أوجدت شرعيتها من خلال صياغة النصوص الروائية الموضوعة أو المدسوسة في المنظومة التفسيرية، وهذا ما دعى كثيراً من المستشرقين الى توجيه أصابع الإتهام والنقد اللاذع للحديث، والكثير منا لايملك تجاه ذلك غير الطعن بهم وأتهامهم ،وهم وانْ كان الكثير منهم يتحرك ضمن أجندات خاصة راميةً الى الطعن بالاسلام وتقويض أركانَّه، فوجدوا انْ القرانْ مغلقةٌ ابوابه، لانْ اسلًام محورية القرانْ محصنٌ ،ومجموع طعوناتهم بوحيانْية القرانْ كانت مفضوحةً ومردورةً ، فدعاهم ذلك للجوء الى عالم الحديث والتفسير والسيرة ووجدوا الإسرائيليات تلوح لهم بالمطابقة مع ماهو موجود في التوراة والانْجيل والكتب القديمة والتراث الفكري والثقافي للحضارات السالفة ويقول المستشرق جولد تسهير:((هنالك جملُ أخذت من العهد القديم والعهد الجديد وأقوال للربانْيين ، أو مأخوذة من الانْاجيل الموضوعة وتعاليم من الفلسفة اليونانْية ، وأقوال من حكم الفرس والهنود ، كل ذلك آخذ مكانة في الاسلام عن طريق الحديث))[22].

وأهم فقرة في الملمح الرابع هو إقصاء المرجعية الدينية والسياسية في مدرسة أهل البيت وما تبعهُ من تناقضات نتيجة الانْفتاح على الحضارات ومناهجها بشكل غير مشروط ومحدود بضوابط معرفية ،مما ستتبع أيجادحلول مستعجلة لمواجهة التحديدات الفكرية التي تمكن في فهم الصحابة والتابعيين، وحتى فهم الانْظمة

(20)طلال الحسن،من محورية اسلام الحديث الى محورية اسلام القرآن. ملخص المشروع الأصلاحي للسيد كمال الحيدري، بيروت – مؤسسة الابداع الفكري للدراسات التخصصية ،(د.ت)،ص36.

(21) المصدر نفسه

(22)جولد تسيهر : العقيدة والشريعة في الاسـلام (تأريخ تطور العقدي والتشريعي في الدين الاسلامي). نقله الى العربية :محمد يوسف موسى وآخرون،ط(بلا)، مصر – دار الكتب الحديثة،(د.ت)،ص51.

السياسية المغايرة لأصول الاسلام المحمدي،حتى نشأت مصادر عدة لفهم التشريع الاسلامي وهذا انْتج مشكلة كبيرة لفقهاء الاسلام وهي قلة النصوص التي تستنبط منها الاحكام الشرعية ،ويقول أحد المختصين في مجال علوم الحديث، انْ أبا حنيفة انْما كثر القياس في مذهبه، لكونه في زمن قبل تدوين الحديث، ولو عاش حتى دونت الأحاديث الشريفة ،وبعد رحيل الحافظ في جمعها من البلاد والثغور وظفر بها ، لأخذ بها وترك كل قياس كان قاسه[23].

أيجاد حلول مستعجلة لمواجهة التحديدات الفكرية التي تمكن في فهم الصحابة والتابعيين، وحتى فهم الانْظمة السياسية المغايرة لأصول الاسلام المحمدي

وفي ضوء هذا النص تتأكد لناً مسألة الرأي وتوابعها، تعود في الأصل الى الخليفة الثانْي عمر بن الخطاب، بسبب اصداره مرسوماً عاماً يمنع فيه تدوين الحديث النبوي، إذ يقول المحقق (محمد رضا الجلالي) في هذا الصدد:(لو دونت الأحاديث قبل انْ يولد ابو حنيفة لما ضاع شيء منها، واستفادت الأمة كلها منها في معرفة دينها، وأصلاح دنياها ، لكن المانْعيين كانوا يعتمدون في ضياع الاحكام وتشتيت أحوال أمة الاسلام، لتحريم تدوين السنة، مضافاً الى منع روايتها على الألسن)[24].

انْ اقصاء المرجعية الدينية والسياسية لأهل البيت ،جعل الحكومات الجائرة تضطر الى تأسيس للأخبار المنسوبة الى النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم،بشكل مباشار أو بفعل البعد الزمانْي عن عصر النبوة سواء كان ذلك العمل عن عمد أم حسن ظن، ولذا نجد انْ قراءة المستشرقين للتراث الاسلامي على مستوى الفقه والتفسير والسيرة، وقد وجدوا ملامح الصناعة الرسمية للمدارس الفقهية والعقدية، بأدوات ومضامين مختلفة عن رؤية المدرسة العلوية كونها تصنف ضمن خط المعارضة للموقف الرسمي للسلطة- فقرأوا التراث المصنوع بأدوات حكومية وحللوه مما أسس الى تركة يصطلح عليها بالسنة المحكية أو ما يعرف بمدرسة الرأي ،إذ يقول المستشرق الإلمانْي شاخت:(المبادئ التي استرشدوا بها على ماورد في الكتاب وماصح من أحكام الرسول فيما لم يرد له ذكر في الكتاب، ولما حاولوا بسط هذه المبادئ المحدودة نوعاً ما،انْتهى بهم الأمر الى التوسع في تأويلها، توسعاً خرج بها عن معناها الأصلي، وربما كان سبباً في ظهور احاديث جديدة)[25].

وجدوا ملامح الصناعة الرسمية للمدارس الفقهية والعقدية، بأدوات ومضامين مختلفة عن رؤية المدرسة العلوية

وهذا تصريح واضح في تأكيد طبيعة الأحداث وعمليات الاقصاء التي افرزت حاكمية السنة المحكية مقابل السنة الواقعية، بمعنى انْ المستشرقين قد انْتهوا في بحوثهم الى نتائج موضوعية، لايمكن الطعن بها لانَّهم إطلعوا على التراث الرسمي للاسلام بصناعة الفقه السلطانْي، وفي هذا الصدد يقول المستشرق الهولندي كوننكز فيلد:(انْ دراستنا للاسلام ذات اتجاه واحد ومحور الواحد هو الاسلام السني.حيث المذهب الرسمي: فلا نعرف غيره)[26].

فيما يتعلق بنشأة المذاهب والمدارس العقدية ،فانَّها تنشأ في ظل السلطة

(23) ظفر أحمد التهانوي الحنفي ،قواعد في علوم الحديث، تحقيق:عبد الفتاح ابو غدة، ط (5)، حلب – مكتب المطبوعات الاسلامية،1404هـ،ص454.

(24)محمد رضا الجلالي،تدوين السنة الشريفة ،ط(2)،قم – مركزالنشر التابع مكتب الأعلام الاسلامي،1418هـ،ص489.

(25)جوزيف شاخت، اصول الفقه المحمدي،ترجمة: بشير بن نصر،مجلة كلية الدعوة ،ع(11)،ليبيا،1994م،ص56.

(26)جعفرعبد الرزاق ،حورات مع المستشرقين ،مجلة الفكر الجديد ع(15-16)،لندن- دار الاسلام للدراسات والنشر ،1997م،ص43.

الحاكمة من أجل بناء منظومة الفقه الحكومي، من أجل ايجاد شرعية لمواجهة القوى المعارضة للسلطة السياسية من خلال الدس والوضع في الأخبار الخداع العامة من الناس ويقول جولد تسيهر :(ليس من السهل تبين هذا الخطر المتجدد عن بعد الزمانْ والمكان من المنبع الأصلي ،بانْ يخترع اصحاب المذاهب النظرية والعلمية احاديث لايُرى عليها شائبةٌ في ظاهرها،ويرجع بها الى الرسول واصحابه، فالحق انْ كل فكرة وكل حزب وكل صاحب مذهب يستطيع دعم رأيه بهذا الشكل ،وانْ المخالف لَه في الرأي يسلك ايضاً هذا الطريق، ومن ذلك لايوجد في دائرة العبادات أو العقائد أو القوانْين الفقهية او السياسية مذهب أو مدرسةً لاتعزز رأيها بحديث أو بجملة من الأحاديث ،ظاهرها لاتشوبه أية شائبة([27]).

بنشأة المذاهب والمدارس العقدية ،فانَّها تنشأ في ظل السلطة الحاكمة من أجل بناء منظومة الفقه الحكومي

مما نريد الوصول إليه انْ عصر ما قبل التدوين – وهو القرن الهجري الأول هو عصر الفتوحات، يتميز بتأثير نوعي ومتنوع في صياغة المرويات الحديثية وذلك بفعل الأختلاف الحضاري للمجتمعات الجديدة المنضوية تحت راية الاسلام، مما يستتبع بالضرورة تفاقم حجم الروايات بقدر تأثير تلك الحضارات المستقبلة للاسلام، والتي لم تتمكن من الغاء تراثها وضغوطاتها الحضارية على صياغة النصوص الروائية.

(27) جولد تسيهر،العقيدة والشريعة في الاسلام ،مصدر سبق ذكره ،ص49-50.

انْ عصر ماقبل التدوين-هو عصر الجهاد والتكوين وليس عصر العلم والبحث، مما ينتج الفعل الانْشطاري في قراءة الاسلام الى نوعين: -اسلام السلطة واسلام المعارضة، والاسلام المعارض ينقسم على قسمين اسلام الانْدماج والتعايش، واسلام التكفير.

عصر ماقبل التدوين-هو عصر الجهاد والتكوين وليس عصر العلم والبحث

المحور الثانْي: أسباب منع التدوين

أجمع علماء الاسلام على صدور أوامر المنع من تدوين الحديث النبوي في الصدر الاول من الاسلام ، ووقع اختلاف شديد بين المدرستين في تحديد جهة المنع، إذ ذهبت مدرسة الصحابة الى انْ المنع قد صدر من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واستدلوا لذلك بعدد من الروايات المنسوبة للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، أو ماهو قريب من ذلك ، في حين ذهبت مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) الى انْ المنع انْما صدر من الخليفة الأول والثانْي لعهد الرأشدين، ثم استمر المنع لحين صدور الأذن الرسمي في عهد الحاكم الأموي عمر بن عبد العزيز بصورة جزئية، ثم كانت البداية الحقيقية على يد عبد الملك ابن جريج الرومي، الأموي في عهد المنصور العباسي .

قال الحاكم النيسابوري:(أول من دون الحديث بأمر عمر بن عبد العزيز محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبدالله بن شهاب الزهري، أحد الأئمة الاعلام، وعالم أهل الحجاز والشام، أخرج عن جماعة من صغار الصحابة وكبار التابعين، ثم فشى

التدوين في الطبقة التي تلي طبقة الزهري، فكان أول من جمعه ابن جريج بمكة ،وابن اسحاق او مالك في المدينة)([28]).

انْ هذه البداية هي بداية جزئية وليس بداية حقيقية ذات طابع مهني ،انْما البداية الرسمية كانت في عهد المنصور العباسي والتي أخذت بعداً منظماً وموسعاً صنعت على عين الانْظمة الحاكمة والتي يؤرخ لها من سنة 136هـ حتى سنة 158هـ ([29]).

ومن الجدير بالذكر انْ مرحلة التدوين على وفق مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) تؤرخ منذ العهد النبوي وانْتهاءً بعصر الإمام الصادق باعتباره وريث هذه المدرسة ولم تلتزم مدرسة أهل البيت بقرار المنع الصادر عن الخلافة الرأشدة([30]).

انْ مرحلة التدوين على وفق مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) تؤرخ منذ العهد النبوي وانْتهاءً بعصر الإمام الصادق

يستند المانعون للتدوين للحديث النبوي على أخبار واردة عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)،انَّه قال :(لاتكتبوا عني شيئاً سوى القرانْ ، ومن كتب شيئاً سوى القرانْ فليمحه)([31]).

ثم نقلوا عن سيرة الخليفتين ابو بكر وعمر بن الخطاب، مايدل على التشديد بقرار المنع، فقد روى الذهبي خبراًعن الخليفة الأول ابو بكر :(انَّه جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال:- إنكم تحدثون عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ،أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد أختلافاً فلا تحدثوا عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)شيئاً فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله ،وأستحلواحلاله وحرمو حرامه)([32]).

وأما عن الخليفة الثانْي عمر بن الخطاب فقد روى ابن سعد في طبقاته عن عبد الله بن العلاء انَّه قال:(سألت القاسم يملي عليّ أحاديث) فقال :انْ الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب ،فأمرَ الناس انْ يأتوا بها، فلما أتوه ،أمر بتحريقها ، ثم قال: مثناةٌ(*)كمثناة أهل الكتاب)([33]).

بالنسبة الى تصريح الخليفة الأول، ففيه تأكيد واضح على المنع الصريح لتدوين الحديث النبوي لايحتمل التأويل، اما بالنسبة الى تصريح الخليفة الثانْي، فانَّه تصريح يثير علامات أستفهام من جهة وصفه لمدونات الحديث النبوي بكتب أخبار بني اسرائيل بعد موسى (عليه السلام) هذا من جهة ومن جهة أخرى هل كان للخليفة علم مسبق ومعرفة بكتب الأحبار اليهودية ومن أين أتى بمشروعية الأحراق، يتحمل أطلاع الخليفة الثانْي ببعض افكار التلمود، وذلك واضح من خلال تصريحه بالمنع للتدوين وتأكيده من خلال وصف المدونات النبوية بالمثناة.

جاءت فكرة الترويج وتسويغ منع التدوين مستندين ذلك الى أحاديث النهي عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم

ثم جاءت فكرة الترويج وتسويغ منع التدوين مستندين ذلك الى أحاديث النهي عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ونهي الخلفاء مخافة اختلاط السنة بالقرانْ الكريم، وهو من أشهر التبريرات، فهذا ابن حجر يقول في ذلك:(أما السنة

(28)محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، معرفة علوم الحديث، تحقيق: معظم حسين ، ط(2)،القاهرة -مكتبة المتنبي ، 1397هـ،ص10.

(29)عبد الجواد ياسين ، السلطة في الاسلام،مصدر سبق ذكره،ص27.

(30)زهير غزاوي الإمام جعفر بن محمد الصادق بين الحقيقة والنفي : دراسة في جدلية صعود مدرسة أهل البيت ، ط(بلا)،دمشق-(د.ن)،1998م،ص15.
- عبد الهادي الفضلي ، اصول الحديث ،ط(2)، بيروت - مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع ،2011م،ص77-73.

(31)سليمان بن أبراهيم القندوزي الحنفي ، ينابيع المودة لذوي القربى،تحقيق: علي جمال اشارف، مصدر سبق ذكره ،ج (2)، ص292.

(32)شمس الدين الذهبي ،تذكرة الحفاظ ،مصدر سبق ذكره ،ج(1)، ص2

(*) في الصحيح تسمى المشنا وليست المثناة، والمشنا تنطوي على مجموعة من النصوص الاساسية لفتاوي علماء اليهود وهي تمثل الشريعة الشفوية غير المكتوبة ،تمثل بعداً توضيحياً لنص التوراة المكتوب ، وبحسب زعم اليهود، أن تدوين تلك الشريعة الشفوية ،امراً محرماً وذلك تمييزاً لليهود عن الوثنيين إذ ما سيطرت أمة على اليهود .
للتفصيل ينظر، نديم الجابري ،الاصولية اليهودية ،مؤسسة الفضيلة

النبوية فقد نهى النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابها عن كتابتها أول الأمر،مخافة اللبس بالقرانْ،اذ قال عليه الصلاة والسلام:لاتكتبوا عني ،ومن كتب غير القرانْ فليمحه،وحدثوا عني،فلاحرج....)([34]).

اذاً ففي قول بن حجر تسويغ يتعلق بالدفاع عن مشروعية الإحراق وغيره من المواقف،واذا كان التسويغ مخافة اختلاط السنة بالقرانْ فانْ هذا الرأي محل نظر من الناحية العلمية للأسباب التالية :-

1. اذا كان النبي محمد (صلى الله عليه وآله) يخشى على القرانْ من الضياع، اذا اسلمنا من باب التنزل بصحة الخبر الوارد فانْ هذا الأمر غير منطقي كون القرانْ يتمتع ببلاغة عالية يستطيع الصحابة التمييز بين النص القرانْي ومفرداته البلاغية عن غيره من النصوص.
2. اذا كان الأمر يدل على الخوف من الشروحات البيانْية (التفسير)يمكن وضع أشارة في تمييز النص القرانْي عن النص التفسيري.
3. كيف يمكن الجمع بين نصوص النهي عن كتابة الحديث النبوي وهنالك تاكيد وحث نبوي على الكتابة في الخبر الوارد عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال:(كنت أكتب كل شيءٍ اسمعه عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا:الكتب كل شيء تسمعه عن ورسول الله (صلى الله عليه وسلم)بشر يتكلم في الغضب والرضا ؟! فامسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)فأومأ باصبعه الى فيه ،فقال:اكتب فو الذي نفسي بيده مايخرج منه الإ الحق)([35]).

فضلاً عن الحديث الذي ترويه مدرسة الصحابة في كتاب الموطأ لمالك بن انْس انْ النبي (صلى الله عليه وآله) انَّه قال :-(تركت فيكم أمرين، لن تضلّوا مامسكتم بهما : كتاب الله وسنة نبيه)([36]).

وعلى الرغم من انَّه ليس بالحديث الصحيح الذي يرويه الفريقان([37])، ولكن أستدلالنا من باب ألزموهم بما الزموا انْفسهم ،أي كيف يوصي النبي (صلى الله عليه وآله) في آخرأوقات حياته بالتمسك بالسنة، وقد نهى عنها من قبل؟!

انْ هنالك تعارضاً وتضارباً في الأقوال بين التحديث النبوي التدويني والتحديث من دون التدوين والتأكيد على مسألة الحفظ أخص من التدوين

يبدو انْ هنالك تعارضاً وتضارباً في الأقوال بين التحديث النبوي التدويني والتحديث من دون التدوين والتأكيد على مسألة الحفظ أخص من التدوين، فانْ المشكلة قائمة سواء قلنا بالحديث أو التدوين أو الجمع بينهما، كون البيئة السائدة آنذاك فيها ميل للحفظ أكثر من الكتابة، ومما تجدر اليه الاشارة هو مدى القيمة الموضوعية للمنع بالتحديث أو التدوين للسنة النبوية سواء كان المنع صادراً من الرسول أم من الخليفتين، فلماذا كسر قيد المنع، من الخليفة عمر بن عبد العزيز أو المنصور العباسي ؟! ألا يدعو هذا الى التساؤل حول اذا ماكان رفع الحضر عن التدوين شكلاً من اشكال الطعن الصريح بالسنة النبوية ذاتها وتشكيكاً بمشروعية الأخبار الصادرة عن النبي من طريق الخلفاء.

للدراسات والنشر، بغداد ،2006م، ص ص75-76

(33)محمد بن سعد ،الطبقات الكبرى،ج(5)،بيروت - دار صادر،(د.ت)، ص188.

(34) احمد بن علي بن حجرالعسقلاني، الاصابة في تمييز الصحابة ،ج(1)،دراسة وتحقيق وتعليق:عادل احمد عبد الموجود،علي محمد معوض،تقديم : محمد عبد المنعم البري ،عبد الفتاح ابو سنة ،بيروت – دار الكتب العلمية ،1415هـ، ص28.

(35) اسماعيل بن كثيرالدمشقي، تفسير القرآن العظيم ،ج(4)، بيروت – دارالمعرفة ،(د.ت)، ص264.

(36) مالك بن أنس ، الموطأ ،تحقيق محمد فؤادعبدالباقي،ج(2)،ط(1)،بيروت – دار احياء التراث العربي ،1406هـ،ص899.

(37)الحديث الصحيح الذي رواه الفريقان معاً هو:(أمّا بعد ،ألا أيها الناس فانما أنا بشرٌ يوشك أن ياتي رسول ربي فاجيب ،وانا تارك فيكم ثقلين ،أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ،فخذوابكتاب الله واستمسكوا به- فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال :(وأهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي ،اذكركم الله في أهل بيتي،اذكركم الله في أهل بيتي)،مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري،صحيح مسلم ،ج(2)، بيروت- دار الفكر،(د.ت)، ص122.

لاسيما الأول والثانْي ؟

انْ منع التدوين ورفع الحظر من السلطة الأموية والعباسية، أسس بمشروعية تشويه معالم السنة من خلال المركز ولو كان الخوف على اختلاط السنة بالقرانْ، كان من الممكن لمؤسسة الخلافة الرأشدة القيام بتربية جيل من الصحابة أو التابعين واختيار لجنة تتصف بالأمانْة والنزاهة لجمع الأحاديث الى جنب جمع القرانْ، لقطع الطريق على الوضاعين الذين شوهوا السنة النبوية ودسوا فيها الأخبار الموضوعة التي فرقت المسلمين شيعاً وأحزاباً[38].

(38) هاشم معروف الحسني،دراسات في الحديث والمحدثين ، ط (بلا)،بيروت –دار التعارف للمطبوعات ،(د.ت)،ص23.

لو انّ الحديث بحسب - رأي ابو رية – في عصر النبي تم تدوينه الى جانْب تدوين القرانْ بأعتماد وسائل الدقة والتحري لما اختلف المسلمون هذا الاختلاف الشديد ،الذي لم يستطع احدّ تلافيه[39].

انْ المسوغات التي يسوقها الكتاب وأرباب السيرة والتأريخ هي مسوغات املتها عليهم ضرورات حجية الصحابي وعدم المساس به

وبناءً على ما تقدم يبدو انْ المسوغات التي يسوقها الكتاب وأرباب السيرة والتأريخ هي مسوغات املتها عليهم ضرورات حجية الصحابي وعدم المساس به أو ربما مسوغات تنطلق من منطلق حاكمية نص السلطة مقابل سلطة النص للأعمال منظومة شرعية تدفع بالمدونات النبوية التي قد تضر بالعامل البراغماتي الذي يؤسس لنص سياسي يضفي المشروعية للخلفاء الذين يفتقرون لمعيار الأهلية في ادارة الدولة تحت مظلة الفقه النبوي المرتكزة على الاحكام الشرعية ذات الصلة بالبنية المعرفية والدينية وهذا متجسد في كلمات مدونات أعلام الاسلام ،لاسيما في كتاب اعلام الموقعين لابن القيم الجوزية الذي يؤكد فيه على عدم مشروعية سلطة الخليفة الثانْي على مستوى المعرفة الدينية لأحكام الشريعة ذات الصلة بإدارة الدولة الى الحد الذي يوصف به الخليفة عمر بالقول :انْ تكون المرأة أفقه من الخليفة عمر. لابل أبعد من ذلك يكون الاعرابي أعلم من الخليفة في حكم الميراث[40].

(39)محمد ابو ريه، اضواء على السنة المحمدية ،مصدر سبق ذكره، ص23.

(40)للمزيد حول ذلك ينظر :-أبي عبد الله بن ابي بكر بن أيوب المعروف بابن القيم الجوزية ،أعلام الموقعين عن رب العالمين ،علق عليه وخرج احاديثه مشهور بن حسن ال سلمان ،ط (1)،(د.م)،دار بن الجوزي ،1423هـ،ج(4)،ص21-26، باب مسائل خفيت عن عمر .

المحور الثالث: ملاحظات حول عصر التدوين وبدايات التنصيص السياسي **(البخاري وموقفه من الإمام جعفر الصادق عليه السلام)**

لاريب انْ الأرتقاء الملحوظ المتمثل بالانْتقال في تدوين السنة الشريفة من مرحلة المشافهة الى البعد التدويني ونقلاته النوعية على مستوى المعالجات السندية والتصحيح على مستوى علم الجرح والتعديل ،إلا انْ هذه المعالجات منحصرة في الأطار الشكلي .

اما على المستوى فهنالك أزمة خطيرة وتداعيات أخطر يحددها أحد المحققين المعاصرين ضمن ثلاثة نقاط وهي :-

العامل الأساس المتحكم في المدرستين هو البعد الايديولوجي المتناغم مع رغبات السلطة السياسية

1. تضليل الرأي العام
2. تغييب المتون الأخرى أي الإعتماد على مصنفات حديثية معينة وتغييب المتون الاخرى، الامر الذي أدى الى اعتبار تلك المتون المغيبة تعد مصادر ثانْوية بحجة معارضتها الصحيحي مسلم والبخاري وهذه القاعدة تشمل المدرستين معاً(مدرسة النص –

مدرسة الشورى)

ولانْ العامل الأساس المتحكم في المدرستين هو البعد الايديولوجي المتناغم مع رغبات السلطة السياسية (الدولة الصفوية ودعمها الى الإتجاه الاخباري والسلطة العثمانْية ودعمها الى الإتجاه الحنفي فقهياً والإتجاه السني ضمن الإطار العام ([41]).

3. شيوع ظاهرة الارهاب الفكري في المتون الفقهية .

انْ أغلب المنطلقات الفقهية والأسس العقائدية لحركات التطرف الاسلامي منشأها وجود أرضية فكرية ومنطلقات عقائدية في بطون الصحيحين، وفرت الغطاء الشرعي لتلك الحركات المتطرفة والتي أرتسمت ملامحها بأقصاء الآخر على مستوى الفكر وأستخدام القوة كوسيلة مشروعة للقتل والتصفية، لإعتبارات طائفية على وفق منظومة فقهية داعية للتطرف الديني([42]).

ووفقاً لذلك نجد انْ ذلك يتجسد بشكل عملي من خلال موقف البخاري في النقل للنصوص عن أهل البيت عموماً والإمام جعفر الصادق (عليه السلام)على نحو الخصوص ، لم يحتج البخاري في صحيحه بأقوال الإمام جعفر الصادق عليه السلام، حسب ما ينقله ابن تيمية انْ البخاري قد أستراب من الإمام جعفر الصادق ولم يخرج له لما بلغه عن يحيى بن سعيد القطانْ فيه كلام فلم يخرج له ([43]).

وهذا يكشف لنا انْ المعيار في صحيح البخاري انَّه خاضع لأدوات السلطة العباسية في صناعة الادلة على وفق معيار توثيق المجروحين وممن يناصب العداء الى أهل البيت، وهذا يتضح من خلال توثيق وتجريح الأحاديث في صحيح البخاري لابن عثمانْ الرحبي. الذي كان يسب علياً ويلعنه ([44]).

وفي السياق نفسه يحتج بأحاديث عمرانْ بن حطانْ الخارجي الذي يؤكد فيه الالبانْي في القول:(عمر بن حطانْ من روؤس الخوارج وشعرائهم، وهو الذي مدح ابن ملجم الشقي قاتل سيدنا علي بالابيات الشهيرة، قال بعضهم: انْما أخرج له البخاري على قاعدته في تخريج أحاديث المبتدع إذ كان صادق اللهجة متُديناً)([45]).

تطور الموقف من مرجعية الإمام الصادق على وفق مبانْي الاسلام الأموي من موقف الريبة والشك الى موقف التشكيك والطعن بالإمام جعفر الصادق (عليه السلام)

انْ ليس من المستغرب انْ يتم تخريج أحاديث المبتدعين والخوارج على نحو الخصوص، اذا ماعرفنا معايير المنهج الأموي في قلب معايير علم الجرح والتعديل، بمعنى جعل محبة معاوية هي المعيار في قبول الحديث اورده ([46]).

لقد تطور الموقف من مرجعية الإمام الصادق على وفق مبانْي الاسلام الأموي من موقف الريبة والشك الى موقف التشكيك والطعن بالإمام جعفر الصادق (عليه السلام) من قبل الاتجاه المعاصر المتأثر بالنزعة الأموية السلفيةوهذا يتضح بشكل جليً في عبارات أبراهيم الجبهانْ الذي في مقدمة كتابه (تبديد الظلام وتنبيه النيام على خطر التشيع على المسلمين والاسلام).

إذ يؤكد على امور بحسب رأيه :- انْ يرفع الالتباس في ذهن قارئه أذ يصف الإمام الصادق بالزندقة والالحاد ولذلك لايصح تسميته بالصادق وجعل هذا اللقب

(41)كمال الحيدري، حجية السنة وموقعها، محأضرةً على طلبة البحث الخارج بثتها قناة الفيض الفضائية ،بتاريخ 2017/7/14م.

(42) خالد الملا ،الخطاب الديني بين التطرف والأعتدال (داعش نموذجاً) في برنامج حوار بالمعلن ،بثته قناة الغدير الفضائية ،بتأريخ 2017/7/27م.

(43)أحمد ابن تيمية ،منهاج السنة النبوية ،ج(4)،تحقيق:محمد رشاد سالم ،قاهرة – مطبعة بولاق ،1321هـ،ص143.

(44) يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف ،المعروف بالمزي، تهذيب الكمال في اسماء الرجال ،تحقيق:بشار عواد معروف،ط(1)،بيروت- مؤسسة الرسالة ،1980م،ج(5)،ص576.

(45)محمد ناصر الدين الالباني ،مختصر صحيح الإمام البخاري، الرياض- مكتبة المعارف ، 202م،ج(4)،ص39 ،هامش 11.

(46) للمزيد حول هذه المسألة ينظر، علي المدني، السلطة وصناعة الوضع والتأويل، (دراسة تحليلية تطبيقية في حياة معاوية بن أبي سفيان)، تقرير للسيد كمال الحيدري ، بيروت - دار المرتضى ،2012م، ص 156ومابعدها.

مختص به، إذ يعتقد الجبهانْ انْ البخاري كان محقاً في عدم تخريج الأحاديث للإمام الصادق لسلوكه المتسم بالبذخ والترف وقبوله العطايا من شيعته وهي محرمة عليه ولم يكن من مستحقيها حتى قيل انَّه أشترى داراً في البصرة بمبلغ ثلاثين الف دينار، عدا الاموال التي انْفقها على الدعاة والمبشرين والجمعيات السرية التي كان لها دور في تخريب وافساد الأمة الاسلامية ([47]).

ومن خلال ماتقدم نجد انْ النهج الأموي بصياغته لمنظومة الحديث والتأريخ في تبني سياسة المواجهة العدائية، واستخدام كافة الوسائل لاجهاض المنظومة المعرفية للاسلام المحمدي. من خلال اعتماد منهج الكذب الصريح والتشويه لإتباع مدرسة أهل البيت، وتسميتهم بالروافض، إذ يقول احسانْ إلهي ظهير:(إذ يقول ويسمون ايضاً الرافضة أو الروافض، لرفضهم مناصرة ائمتهم ومتابعتهم، وغدرهم بهم وعدم وفائهم لهم ...)([48])

(47)ابراهيم الجبهان ، تبديد الظلام وتنبيه النيام على خطر التشيع على المسلمين والاسلام، ط(3)،السعودية – رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد ،1988م،ص9-10.

(48)إحسان الهي ظهير، الشيعة والتشيع فرق وتأريخ ،ط (4)، باكستان – ادارة ترجمان ،1984م، ص270.

الخاتمة

1. يبدو من خلال الاستعراض المركز لملامح الاسلام الأموي بتطبيقاته التأريخية والمعاصرة ،نجد انْ الهدف من كيل التهم واعتماد سياسية التشويه والكذب والافتراء لكل من ناهض المشروع الأموي وصياغته العقدية في فهم الاسلام، لا يوجد له مسوغ في ايجاد منظومة معرفية لها مسحة دينية حتى تجد لها موطأ قدم ضمن الحواضن الاجتماعية ،التكريس ثقافة الكراهية ،كمقدمة لخلق مقبولية في العقل الاسلامي لإعتماد ثقافة العنف وللتهيئة النفسية ،لخلق مسوغات ممارسة العنف المنظم .
2. انْ نشأة المذاهب كانت عبارة عن فعل سياسي قامت به السلطة السياسية (منظومة الخلافة من أجل ايجاد مرجعية دينية تمثل مظلة لشرعنة الممارسات اليومية ورسم مسارات علاقة الأمة بالسلطة من أجل تغييب حركة الإمام الصادق في العقل الجمعي للأمة على مسرح التحدبات الدينية والعقائدية، ومن هنا .
3. انْ الغاية الاساس من عميلة صياغة عمليات البناء والرصد المعرفي لتشكيل الحديث برغبة سلطوية هو اسباغ مشروعية محكمة في ادارة الصراع بين محورين المحور الاول اعادة تشكيل ورسم معالم السلطة السياسية وفق نزعة براغماتية (الغاية تبرر الوسيلة) يسهم بشكل او اخر في ديمومة الصراع وخلخلة الأمن الاجتماعي للحيلولة دون الشروع بمحددات الصيرورة الاجتماعية المتفاعلة مع البناء الفوقية سياسياً بشكل متوزاي لاجهاد مشروع الدولة القائم على اساس ادرة التنواعات والحد من الصراع من خلال استثمار البعد الديني وتوظيفاته الايدلوجية ضمن عميلة صفرية لأقصاء المختلف سياسياً .
4. يترتب على النتيجة السابقة آنفة الذكر كان لمشروع التصيص السياسي للحديث الاثر البالغ في تشكيل العقل السياسي المعاصر المروج لثقافة والتطرف ضمن المنظومة الفكرية للحركات والجماعات المتطرفة في منطقة الشرق الاوسط.

قائمة المصادر

1. ابراهيم الجبهانْ ، تبديد الظلام وتنبيه النيام على خطر التشيع على المسلمين والاسلام، ط(3)،السعودية – رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد ،1988م.
2. ابن ابي الحديد المعتزلي ،شرح نهج البلاغة ،ج4،ط (2)، بيروت-دار احياء الكتب العربية ،1965م
3. أبي عبد الله بن ابي بكر بن أيوب المعروف بابن القيم الجوزية ،أعلام الموقعين عن رب العالمين ،علق عليه وخرج احاديثه مشهور بن حسن ال سلمانْ ،ط (1)،(د.م)،دار بن الجوزي ،1423هـ،ج(4)، باب مسائل خفيت عن عمر .
4. إحسانْ الهي ظهير، الشيعة والتشيع فرق وتأريخ ، ط (4)، باكستانْ – ادارة ترجمانْ ،1984م
5. أحمد ابن تيمية، منهاج السنة النبوية ،ج(4)،تحقيق:محمد رشاد سالم ،قاهرة – مطبعة بولاق ،1321هـ.
6. أحمد أمين المصري،ضحى الاسلام ،ج (2)، ط (10)،بيروت- دار الكتاب العربي، (د.ت).
7. احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح،الكاتب العباسي المعروف للسير والمغازي باليعقوبي ،تاريخ اليعقوبي ،ج(2)، ط(بلا)، بيروت – دار صادر،(د.ت).
8. احمد بن علي بن حجرالعسقلانْي، الاصابة في تمييز الصحابة ،ج(1)،دراسة وتحقيق وتعليق:عادل احمد عبد الموجود،علي محمد معوض،تقديم : محمد عبد المنعم البري ،عبد الفتاح ابو سنة ،بيروت – دار الكتب العلمية ،1415هـ.
9. اسماعيل بن كثيرالدمشقي، تفسير القرانْ العظيم ،ج(4)، بيروت – دارالمعرفة، (د.ت) .
10. جعفرعبد الرزاق ،حورات مع المستشرقين ،مجلة الفكر الجديد ع(15-16)،لندن-دار الاسلام للدراسات والنشر ،1997م.
11. جوزيف شاخت، اصول الفقه المحمدي،ترجمة: بشير بن نصر،مجلة كلية الدعوة ، ع(11)، ليبيا، 1994م.
12. جولد تسيهر : العقيدة والشريعة في الاسلام (تأريخ تطور العقدي والتشريعي في الدين الاسلامي). نقله الى العربية :محمد يوسف موسى وآخرون، ط(بلا)، مصر – دار الكتب الحديثة،(د.ت)
13. خالد الملا ،الخطاب الديني بين التطرف والأعتدال (داعش نموذجاً)في برنامج حوار بالمعلن ،بثته قناة الغدير الفضائية ،بتأريخ 2017/7/27م.
14. الزبير بن بكار بن عبد الله الزبيري، الاخبارالموفقيات، تحقيق:سامي مكي العانْي،بغداد،(د.ن)،1972م.
15. زهير غزاوي الإمام جعفر بن محمد الصادق بين الحقيقة والنفي : دراسة في جدلية

صعود مدرسة أهل البيت ، ط(بلا)،دمشق- (د.ن)،1998م
16. سليمانْ بن أبراهيم القندوزي الحنفي ، ينابيع المودة لذوي القربى،تحقيق: علي جمال اشارف
17. طلال الحسن، من محورية اسلام الحديث الى محورية اسلام القرانْ. ملخص المشروع الأصلاحي للسيد كمال الحيدري، بيروت – مؤسسة الابداع الفكري للدراسات التخصصية ،(د.ت).
18. طه حسين ، الخلفاء الرأشدون ،ج(4)، بيروت – دار الكتاب اللبنانْي، 1973م.
19. ظفر أحمد التهانْوي الحنفي ،قواعد في علوم الحديث، تحقيق:عبد الفتاح ابو غدة، ط (5)، حلب – مكتب المطبوعات الاسلامية،1404هـ.
20. عبد الجواد ياسين ، السلطة في الاسلام
21. عبد الله العلايلي، الإمام الحسين، بيروت- دار مكتبة التربية، الطبعة الجديدة، 1986م.
22. عبد الهادي الفضلي ، اصول الحديث ،ط(2)، بيروت – مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، 2011م.
23. علي الرضوي، وآخـرون، سد المفر على القائل بالقدر:دراسة تحليلة حول بحث الارادة والطلب ونقد مقالة الجبر والتفويض(محأضرًات محمد باقر علم الهدى)،ط(1)، أيرانْ – مركز فرهنكي ،1378هـ .
24. علي المدني، السلطة وصناعة الوضع والتأويل، (دراسة تحليلية تطبيقية في حياة معاوية بن أبي سفيان)، تقرير للسيد كمال الحيدري، بيروت - دار المرتضى ،2012م.
25. علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق :امير مهنا،ط (1)، بيروت – منشورات مؤسسة النور للمطبوعات ،ج(2)، 1421هـ.
26. كريم السراجي، الاسس الدينية للاتجاهات السلفية ، ط(1)، بيروت – دار السلام ، 2010م.
27. كمال الحيدري، حجية السنة وموقعها، محأضرًة على طلبة البحث الخارج بثتها قناة الفيض الفضائية ،بتاريخ 2017/7/14م.
28. مالك بن انْس ، الموطأ ،تحقيق محمد فؤادعبدالباقي،ج(2)،ط(1)،بيروت – دار احياء التراث العربي ،1406هـ.
29. محمد بن الحسن الطوسي ، اختيار معرفة الرجال ،ج(1)، تصحيح وتعليق: الميرداماد الاسترابادي ومحمد باقر الحسيني ، تحقيق: مهدي الرجائي ،ط (1)، قم – مؤسسة آل البيت ،1404هـ، ص71.
30. محمد بن الحسن الطوسي ، الغيبة ،تحقيق: عباد الله الطهرانْي ،علي أحمد ناصح، ط(1)،قم – مؤسسة المعارف الاسلامية ،1411هـ.
31. محمد بن سعد ،الطبقات الكبرى،ج(5)،بيروت – دار صادر،(د.ت).
32. محمد بن صالح العثيمين، شرح العقيدة الواسطية ،اعـداد: فهد بن ناصر

بن ابراهيم السليمانْي ، ط (2)، الممكلة العربية السعوديه – دار الثرية للنشر ، 1426هـ،.
33. محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، معرفة علوم الحديث، تحقيق: معظم حسين، ط(2)،القاهرة –مكتبة المتنبي ، 1397هـ.
34. محمد بن محمد النعمانْ البغدادي ،الارشاد في معرفة حجج الله على العباد.
35. محمد رضا الجلالي،تدوين السنة الشريفة ،ط(2)،قم – مركزالنشر التابع مكتب الأعلام الاسلامي،1418هـ.
36. محمد عجاج الخطيب، السنة قبل التدوين، ط(3)، بيروت – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،1980م.
37. محمد ناصر الدين الالبانْي ، الذب الأحمد عن مسند الإمام احمد، ط (1)، المملكة العربية السعودية ،دار الصديق،1420هـ.
38. محمد ناصر الدين الالبانْي ،مختصر صحيح الإمام البخاري، الرياض- مكتبة العارف ، 202م.
39. محمود ابو رية، شيخ المضيرة ابو هريرة ،ط (3)،القاهرة – دار المعارف للمطبوعات، (د.ت).
40. محمود ابو ريه، اضواء على السنة المحمدية (اوالدفاع عن الحديث)،ط (2)،قم – دار الكتاب الاسلامي، 2007م.
41. مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري،صحيح مسلم، ج(2)، بيروت- دار الفكر،(د.ت).
42. نديم الجابري ،الاصولية اليهودية ،مؤسسة الفضيلة للدراسات والنشر، بغداد ،2006م.
43. هاشم معروف الحسني ،الموضوعات في الآثار والاخبار، تحقيق: أسامة الساعدي ، ط(1)، قم،(د.ن)،2009م.
44. هاشم معروف الحسني،دراسات في الحديث والمحدثين ، ط (بلا)،بيروت –دار التعارف للمطبوعات ،(د.ت).
45. يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف ،المعروف بالمزي، تهذيب الكمال في اسماء الرجال ،تحقيق:بشار عواد معروف،ط(1)،بيروت- مؤسسة الرسالة ،1980م.